نورا تبكـــي

-جهاد! لا تترك الحمام مجقجق تقول لك خالة فريدة..

-لا، نظفت كل شيء قبل أن أرتدي ملابسي..

-ماذا تفعل الآن؟

-أمشط شعي..

-عجل! سامعة سيارة وقفت، ووقع أقدام على الدرج.. أنا مـت جوعـا.. وفريـدة هيأت الفطور..

سمع جهاد وهو في الحمام هتاف نورا تستعجله وهو يتلكأ في تمشيط شعره ليغـيظ نورا..ظن أنه العم كريم يحملها ويقبل وجنتيها حين فتح الباب..

-أين جهاد

-في الحمام يتلكأ كعادته..

رأى وجهه .. والده بلحمه ودمه.. مر دهر دون أن يراه.. وهاهو ينتصب أمامـه، مهيبا حليق الوجه، وها هو يضمه ويشم الرائحة العطرة المنبعثة من شعره البليل..

-جهاد كم اشتقت لك! أحبك كثيرا ياولدي!

-وأنا اشتقت لك.. ظننت أنك لا تحبني لأنني ألعب الكلّة في الشوارع وأتشاجر مع الصبيان..

كانت فريدة تدفع بالحقيبة الثقيلة التي أعدتها لعبد الرحمن..ثم برزت لتدعو الجميـع الى مائدة الإفطار..قال عبد الرحمن لجهاد:

-جئت لأصطحبك معي.. سجلتك في المدرسة التي يتعلم فيها وسيم.. هـل اتبعـت الدورة التي طلبت منك أن تتبعها باللغة الفرنسية؟

-نعم، ولكنني لا أستطيع التكلم بها كما يفعل وسيم..انه سيسبقني في المدرسة!

-لا تهتم! في ثلاثة أشهر تتعلمها، وليس هناك منافسة في العلامات، ولكـن هنـاك تقدير لما أنجزه التلميذ خلال العام..سألت نورا:

-هل ستأخذ وسيم أيضا يا خالي؟

-طبعا ياخالي! يجب أن يكون الأخوان معا فهذا أصلح لكليهما.

أخذت نورا تبكي فقلت لها:

-سيرسلهما خالك في كل عطلة صيفية.. يجب أن تعتادي ذلك..

ولم ترد علي نورا، بل انسحبت الى غرفتها تبكي.. قلت لعبد الرحمن ونحن على مائدة الإفطار:

-ان نورا ولوعة بمن تحب، تبكي لفراق والدها، وتبكي بحرقة لفراق جهاد حين احتجزته داليا عندها، ولم يهنأ لها بال حتى عاد.. قال جهاد:

-الان لا يهمها فراقي.. انها تبكي لفراق وسيم أنا سعيد لأن والدي جاء ليصطحبني معه..سأذهب لأهيئ أغراضي..

-لاتتعجل! افطر جيدا لأن فريدة ستتأخر اليوم في تحضير الغذاء..

ولكنه انسحب هو الآخر قبل أن يكمل فطوره.. ناداه عبد الرحمن فقلت له:

-أتركه يذهب، لقد ناكفته نورا طويلا بعد أن جاء وسيم.. الغيرة تستبد به، فدعه يجد لها متنفسا، سترى بأنه لا يذهب فقط كي يهيئ حاجاته بل ليعاتب نورا ويصالحها ويعرف مكانته عندها..

-أذكر طفولتنا وكيف كنت أتنافس وكريم على كسب قلبك.

-لهذا من الأصلح أن يبتعد كلاهما عنها..ولكنك لم تجبني على رسالتي.. ما هي أوضاعك، وكيف تتحمل عبء رعاية الصبيين؟

-أنجزت المرحلة الأولى في دراستي فأنا نشأت في بيت عامر بكتب القانون، وكنت أقرأها وحدي كما يقرأ الأقران مثلي روايات شرلوك هولمز وأرسين لوبين. ولهذا استطعت أن أتقدم لامتحان الليسانس بوثبة واحدة ونجحت بامتياز ، وأعطيت منحة لدراسة القانون الدولي..

-آه مبروك، هذا أروع خبر أسمعه حتى الآن..

-أما السكن فلقد أعطيته كلاجئ سياسي، فقد زوجته وأصيب ابنه بكسر الساق.فطبابة وسيم أصبحت تقع على كاهل الدولة الفرنسية لا على المنظمة الفلسطينية التي حملت العبء في المرحلة الأولى.. ولدي سيارة قديمة تركها لي ممثل المنظمة في باريس قبل أن ينقل الى مكان آخر.. أما معيشتي فأعطى من الضمان الإجتماعي مبلغا يعادل ما يعطى للعاطلين عن العمل من الفرنسيين.. وهو يكفي وحده لثلاثة اذ أنني أخدم

نفسي بنفسي..وان وجدت وقتا إضافيا لأكتب أو أترجم شيئا كان ذلك لي عونا لأشـتري ثيابا لائقة في موسم الرخصات..

انتقلت الى مكتبي حيث قصصت على عبد الرحمن ما حدث لداليا على يـد قريـب غانم الذي أجرى لها عملية استئصال المبيضين، وكيف وجـد الطبيـب المحلـل أتهمـا سليمان، وماذا كان موقفها حين أقترحت عليها إقامة دعوى عليه..

-العمى! في فرنسايعتبر هذا التصرف جريمة يعاقب عليها القانون بسجن الطبيـب وتجريده من شهادته، ولا يسمح له بممارسة مهنته..

-هنا ترتكب مثل هذه الجرائم ولا يعاقب مقترفها ما دام لم يقم عليها دليل ثابت من شاهد قوي ومدعوم.. والطبيب المحلل أبى أن يشهد في المحكمة خوفا على فقدانه مهنته، فضلا عن أن صاحب العلاقة المدعي لا يرغب أن يدين المدعى عليه..

-كيف ذلك؟

-ان داليا تعرف بحدسها أن زوجها هو وراء ما جرى لها لأنـه عقـيم.. يـسيئ معاملتها ويخشى أن تنفصل عنه لا حبا بها، بل خوف أن تفشي أسراره. ان هاجـسه أن تكون له صورة براقة بين الناس، حتى لوجاءته بولد ليس من صلبه عن طريق التلقيح.. انه يقف الى جانب ابن أخيه ويعطيه الضوء الأخضر لفعلته التي يحافظ بها على سـمعته في أن زوجته أصيبت بالسرطان وأجريت لها عمليـة وأصـبحت غيـر قـادرة علـى الإنجاب.. ولهذا تصر على استرداد وسيم فهي لن يكون لها غيره بعد اليـوم..لـم تعـد المعتدة بنفسها وجمالها ولا راغبة في اقتناص قلب كريم بالرغم من زواجه من سواها..

-عجيب أمرها!

-ليس عجيبا.. كبتت أمومتها طوال عشرسنوات حتى اضطرت غانم أن يخطف لها جهاد وهي تظنه ابنها الذي تركته عندنا.. ثم علمت بأن ابنها أصيبت ساقه وهويعالج في باريس. وعادت بلا أمل في استرداده وكان هذا يوافق هواه.. وكان شرطها فـي البقـاء عنده أن تنجب ولدا بديلا لوسيم عن طريق التلقيح.. ولكن كان له ابـن أخ أفـشل هـذا المخطط لأنه الوريث الوحيد لثروة طائلة إن بقيت داليا عاجزة عن الإنجاب، فأجرى لها تلك العملية!

* * *